الاضطرابات الجنسية: الجنسية المثلية، التلبس، التلصص، الاستعراضية، الفيتيشية

تمهيد

تلعب الجنسية دورا مهما في حياة الفرد و المجتمعات بصفة عامة لارتباطها العميق بالإنجاب. و منه اختلف تصنيف هذه الاضطرابات باختلاف و تطور المجتمعات و المعايير الاجتماعية حيث تم مثلا اعتبار اضطراب في السلوك الجنسي في القرن 19 عشر كل سلوك لا يسمح بتحقيق الإنجاب كالجنسية المثلية.

و في هذا الإطار قام العديد من المختصين بدراسة هذه الاضطرابات و تصنيفها نذكر منها خاصة Krafft Ebing (1882) و تلاه العديد من الباحثين حيث غلب على تصنيفهم الأحكام الشخصية.

"الطفل متعدد الشذوذ" بهذه الجملة تطرق فرويد الى وجود الجنسية عند الطفل و تعدد ابعادها و اثارها المستقبلية على تطور الجنسية السوية عند الراشد و شذودها في كتابه " Trois essais sur la théorie sexuelle" سنة 1905. كما صنف فرويد الشذوذ الجنسي الى : الانحراف المتعلق بالهدف الجنسي و التي يقصد بها ان الجنسية لا تهدف الى العلاقة الجنسية مثل الفيتيشية و الانحراف المتعلق بالموضوع الجنسي أي ان المنحرف يختار تفاضليا العلاقة الجنسية مع موضوع جنسي مخالف لما هو معتاد مثل الجنسية المثلية .

كما تطرق العديد من الباحثين الى الاضطرابات الجنسية خاصة عند الراشد نذكر منهم على سبيل المثال McDougall و Eiguer .

كما اهتم الدليل الأحصائي للاضطرابات الجنسية و غير تسميتها من الشذوذ (perversion) الى الولع الجنسي (paraphilie)انطلاقا من النسخة الرابعة و الخامسة لكون الشذوذ يحمل في طياته قيمة اخلاقية و دينية.

1-مدخل للجنسية و الفضول الجنسي عند الطفل

لقد اهتم التحليل النفسي بالجنسية و تطورها عند الطفل و دورها في ظهور الاضطرابات النفسية عند الراشد و سنتطرق اليها بهدف فهم معناها و ابعادها و الفضول الجنسي عند الطفل قبل ان نتطرق الى الشذوذ الجنسي.

حسب التحليل النفسي تختلف الجنسية عند الطفل مقارنة بالجنسية عند الراشد. فالجنسية عند الطفل تشير الى كيفية تنظيم المثيرات الليبيدية . انها جنسية ما قبل تناسلية اي شبقية ذاتية (ان المنطقة المحددة تتأثر بمثيرات تسمح بالحصول على الإشباع الذي يتمثل في اللذة) حيث تتميز بتعدد اشكالها و لا تتمركز في جهاز او عضو محدد. انها تنتقل من الفم و كل ما يحيط به الى الأعضاء الشرجية و بعدها الأعضاء الجنسية. هذه المناطق تشكل نقطة استثمار و اثارة من طرف الأم خاصة و نقطة اتصال و تواصل مع العالم الخارجي كما تعتمد الجنسية عند الطفل على اشباع الوظائف البيولوجية .

تسبق المرحلة الأوديبية مرحلة الكمون حيث انها تعبر عن رغبة الطفل في الوالد من الجنس المعاكس و هذا ما يؤدي به الى الصراع الداخلي (الخوف و قلق الخصاء من الطرف الأخر) الذي ينتهي بتخلي الطفل عن رغباته "الممنوعة" و تقمصه للوالد من نفس الجنس. ان عبور المرحلة الأوديبية يسمح بتجذر قاعدة رئيسية عند الكائن الانساني و التي تتمثل في ربط الرغبة بقاعدة تحريم زنى المحارم و علاقته بالأجيال هو قانون متجذر في كل المجتمعات الإنسانية. ان مرحلة الكمون مرحلة تتوافق مع الخروج من المرحلة الأوديبية و بناء الأنا الأعلى و منه استدخال القواعد الأخلاقية و الاجتماعية و التربوية. كما ان الطفل في هذه المرحلة يستثمر في الحياة الاجتماعية و المدرسية خاصة و تطوير قدراته المختلفة في كل المجالات و هذا يختلف طبعا باختلاف الأطفال.

ان البلوغ و المراهقة تشكل مرحلة جد هامة في حياة الطفل-المراهق خاصة الجانب المتعلق بالتطور الجنسي التناسلي و ظهور السمات الجنسية الثانوية التعرف على موضوع الحب و التخلي عن العلاقات الوالدية و البحث عن بناء علاقات مع الأخرين....صورتها و التقمص.

الفضول الجنسي

الطفل فضولي بطبعه حيث ان المثيرات التي تنتقل عبر جسمه تجعله يبحث عن خباياها و اكتشاف ابعادها و اسبابها . الفضول الجنسي مختلف من مرحلة عمرية الى اخرى حيث يقول Hayez ان الفضول الجنسي في سن 3 الى 6 سنوات يتيح للطفل اكتشاف ما يحدث في جسمه و كذلك جسم الآخرين كما يسال الراشدين عنها مثل كيف يأتي الأطفال...الخ يتبنى الطفل تفسيرا خاصا به فيما يخص كل هذه الأبعاد.

انطلاقا من 6 سنوات يتجه الطفل الى اترابه للحصول على اجابات لتساؤلاته (الاختلافات في طريقة و مدى التبول مثلا) كما ان اللعب ذو البعد الجنسي مثل لعب الطبيب مع الجنس الأخر، من يتبول لمسافة بعيدة...الخ خاصة و ان الراشدين يتفادون الإجابة عليها.

من 7 الى 10 سنوات يتطور الفضول الجنسي و يتجه الطفل الى البحث عن المعلومات و الإجابات من خلال خاصة حاليا الانترنت ، كما يعلق الطفل بصفة عامة على السلوكات الجنسية للراشدين (المعلمون مثلا) و يقومون بتحديات مختلفة بينهم.

في سن 11 الى 13 سنة يواصل الطفل فضوله الجنسي و يبحث عن كيفية تحقيق الجنسية عند الراشد و انواعها ، كما ان الإثارة الجنسية المختلفة المصادر تؤثر عليه جسميا. ان ظهور العلامات الجنسية الثانوية و التحولات الجسمية في هذه المرحلة العمرية يعزز الفضول و الاهتمام بالجسم و بالسواء و الاهتمام بالأعضاء الجنسية و الخصائص الجنسية و اللجوء الى الاستمناء كوسيلة للتفريغ الإثارة الجنسية و الهوامات المختلفة التي تسيطر على عالمه الخيالي.

ان تطور الفضول الجنسي يمكن ان يؤدي الى تثبيطه نتيجة عوامل مختلفة نذكر منها رد الفعل المحيط اليه او التجربة الجنسية السيئة التي تعرض اليها الطفل . يمكن ان يتزايد الفضول الجنسي و يشتد و يواصل المراهق البحث عن اجوبة له كما يمكن ان يلجا الى سلوكات جنسية مختلفة للحصول على اللذة بصورة مفرطة .

فيما يخص الهوية الجنسية فتبنى بصورة ثابتة بعد 6 سنوات

2- تعريف الاضطرابات الجنسية

يعرف Eiguer الشذوذ الجنسي على انه انحراف في السلوك الجنسي حيث ان الشريك ماهو الى موضوع بسيط في خدمة الأشباع. يشير هنا الباحث الى الدور الثانوي للشريك في العلاقة الجنسية.

كما يميز (Marcelli و Cohen 2012) بين السلوك الشاذ و البنية الشاذة، حيث ان السلوك الشاذ يتمثل في استعمال الأخر او الشريك كشيء او موضوع لتحقيق اللذة في حين ان البنية الشاذة هي بنية نفسية تكون منظمة و متكررة و يتم تصورها بدقة متناهية .

اما النسخة الخامسة للدسم فتعرف اضطرابات الولع الجنسي على انها " كل اهتمام جنسي مكثف ومستمر، يختلف عن الاهتمام الجنسي للاستثارة التناسلية أو المداعبات مع شريك انساني سوي ظاهرياً وناضج جنسياً ومتوافق عليه"

يشير دسم هنا الى الاستثمار الجنسي المتواصل الذي لا يتوافق مع النموذج الجنسي السوي و المعترف به.

3-الشذوذ الجنسي في الطفولة

يتفق المختصون في علم النفس العيادي على ان الاضطرابات الجنسية التي تأخذ شكل الشذوذ الجنسي كما عند الراشد غائبة تماما عند الطفل (6 الى 7 او 8 سنوات) بالرغم من امكانية ظهور بعض السلوكات الجنسية او الاضطرابات الجنسية و لكن لا تحمل قيمة عيادية للشذوذ كما عند الراشد حيث يقول Bonnet (2008، ص 44) " حتى و لو يظهر سلوك شاذ بالمعنى الصحيح فهذا لا يعني ان الأمر يتعلق بشاذ ذو بنية ، هذا يعني ان الطفل يريد احتواء الاندفاع النزوي غير منظم و اعطاءه معنى"

اذا يؤكد الباحث هنا على طبيعة السلوكات الجنسية التي تظهر عند الأطفال و التي تحمل بعد نزوي كما تطرق اليه فرويد في كتاباته خاصة الكتاب المعنون ب " Trois essais sur la théorie sexuelle".

ان ظهور السلوكات الجنسية المختلفة باختلاف المناطق الشبقية تمثل رسالة تعبيرية (رد فعل) لما يتعرض له الطفل من مثيرات جنسية في الأسرة او خارجها . يضيف Bonnet انه يجب على المختص النفسي ان يبحث عن الدوافع التي ادت الى ظهور هذا السلوك الجنسي عند الطفل و معناه و وظيفته. (هل يحاول احتواءه من خلال اعادته او انه وسيلة تسمح له بالتعبير عنه).

من جهته يرى Hayez (2003) ان السلوكات الجنسية المضطربة عند الطفل تتضمن 3 اشكال رئيسية:

-سلوك جنسي عابر يشير الى اشكال مختلفة يقوم بها الطفل مثل استعمال الحيوانات الأليفة لسلوكات جنسية .

-السلوكات الجنسية الشاذة و لكن تبقى سلوكات مؤقتة تزول بعد مرور وضعية صعبة واجهها الطفل.

-السلوكات الجنسية الشاذة و المتكررة و المنظمة بصورة دقيقة بالموازاة مع البحث المنظم و الذكي للسيرورة البحث عن اللذة و مخادعة الآخرين .

4- العلامات التي تشير الى وجود اضطراب في الجنسية

تطرق Hayez (2003، ص429) الى مجموعة من الأبعاد التي تسمح للمختص بالتعرف على طبيعة السلوك الجنسي و شذوذه عند الطفل و هي:

- سلوكات جنسية غريبة في شكلها و غير منظمة مثلا يقوم الطفل بارتداء لألبسة داخلية للجنس الأخر.

-شدة اللذة التي يتحصل عليها الطفل من القيام بهذا السلوك و النشوة الناتجة عنه. على العكس من ذلك السلوك الجنسي لا يترتب عنه قلق او شعور بالذنب .

- يمثل السلوك الجنسي اهمية كبيرة في حياة الطفل حيث انه يشعر بالإرغام على القيام به و يشعر بالحاجة اليه. كما انه يقوم بتصميم ممارسته بصورة دقيقة و منظمة (سيناريو منظم و اتخاذ كل الإجراءات لإشباع سلوكه).

-في حالة مشاركة اطراف اخرى في السلوك الجنسي (مهما يختلف الجنس و السن) فهذا لا يعني المشاركة في السلوك و الحصول على اللذة بصورة متبادلة و لكن الآخرين يشكلون مصدرا او اداة للحصول على لذة المفحوص و فقط .

5- السلوكات الجنسية المضطربة في المراهقة

تعتبر المراهقة من المراحل الهامة في تطور و بناء شخصية المراهق و تحديد الهوية الجنسية بصورة نهائية. كما اطلق عليها مارتي باستراتيجيات مؤقتة (2001).

فيما يخص الاضطرابات الجنسية يلجا بعض المختصون نذكر منهم على وجه الخصوص Bonnet الى استعمال مصطلح " الشذوذ المؤقت" على بعض السلوكيات التي تظهر في مرحلة المراهقة و التي تختلف عن الشذوذ عند الراشد حيث عرفها على أنها (2006، ص 560)" كل سلوك جنسي مرتبط ببعض الاضطرابات العيادية التي تم التعرف عليها في القرن ال20...الاستعراضية ، التلصص، الفيتيشية، المازوشية...الخ" حيث ان الأمر يتعلق بالبعض منها و تكون محددة في الزمن و يضيف بأنه من المستحيل التنبؤ بالتطور المستقبلي لهذا الشذوذ المؤقت لأنه يختلف عن الراشد. كما يؤكد ايضا على ان ميكانيزمات الدفاع المستعملة في الشذوذ نذكر منها الأنكار، الانشطار غير ثابتة و مستقرة كما عند الراشد.

يؤكدون على طبيعة رد الفعل لهذا السلوك الجنسي حيث يتميز بالمرونة في السيناريو و المعنى الاتصالي و العلائقي الذي يحمله هذا السلوك (Benarous و Munch 2015). و يضيف الباحثان ان التنبؤ المستقبلي صعب تحديده نظرا لتدخل مجموعة من العوامل و منها استمرار هذا السلوك و هذا ما يسمح بالدخول في اضطراب او الشذوذ الجنسي مثل الراشد او يمكن ان يزول هذا الاضطراب نتيجة استجابة او فهم لمعنى السلوك و زوال الصراع مع الموضوع و التحكم في السلوك الجنسي المضطرب الذي يمكن قبل ان يزول ان يتحول الى سلوكات مضطربة اخرى مثل الإدمان (Benarous و Munch 2015).

<u>الجنسية المثلية</u>

تشير الجنسية المثلية الى القيام بعلاقات جنسية مع الشخص من نفس الجنس. الجنسية المثلية لا تشكل اضطراب جنسي حيث تم حذفه من دسم في النسخة الثالثة (1980).

حسب المختصين فان الجنسية المثلية جد نادرة في المراهقة فمثلا في فرنسا و في دراسة و Lagrange Lhomond (1997) 6 من المائة من المراهقين ما بين سن 15 الى 18 سنة يبدون انجذاب نحو الأشخاص من نفس الجنس.

للتذكير فان الجنسية المثلية تبقى في كثير من الحالات سرية للغاية حيث يخشى المراهق نظرة الآخرين و الوصم الاجتماعي.

تشير الجنسية المثلية هنا الى اضطراب الهوية الجنسية و/ او الروابط مع الموضوع الاوديبي.

يؤكد كل من Braconnier و Marcelli (1988) على وجوب التمييز بين بعض السلوكيات :

-الهوام او الخوف من ان يكون المراهق ذو جنسية مثلية.

يعتبر هذا الخوف سوي خاصة في بداية المراهقة حيث ان سيرورة هذه الأخيرة تفرض على المراهق ان يلجا الى استراتيجية للتعامل مع الصور الوالدية من نفس الجنس و العدوانية المرتبطة بها حيث ان المراهق يبعدها عنه او على العكس من ذلك يخضع لها. انه يبحث عن صورة الجنس المثلى التي يريد ان يتقمصها.

-الممارسات التي تعبر عن الجنسية المثلية و لكنها عابرة مثل اللمس او العلاقة حيث تشير الى محاولة لتأكيد نرجسية المراهق و دور الراشد مهم في اختيار الموضوع الجنسي.

-العلاقة الجنسية المثلية مع الراشد

<u>التلبس</u>

يقصد بالتلبس السلوك الذي يتمثل في ارتداء لباس خاص بالجنس الأخر بهدف الحصول على الإثارة الجنسية. حسب المختصين فان التلبس يظهر بصورة كبيرة عند الذكور حيث ان الهوية الجنسية مؤكدة و لكن يبقى الأشكال على مستوى الجندر. يظهر التلبس بصورة مبكرة عند الأطفال انطلاقا من 3 الى 4 سنوات بصورة متقطعة و يرجع الى عوامل مختلفة مثل الصراعات الأسرية.

الاستعراضية

و يشير الى اضطراب ذكوري بحث حيث يستعرض الشخص أعضائه الجنسية (في حالة استمناء او انتصاب او بدون ذلك) في مكان عام لشخص غريب الذي يتفاجأ لهذا المنظر.

6- الشذوذ الجنسي حسب دسم 5

يشير دسم 5 وجود 8 اضطرابات للولع الجنسي عند **الراشد الأكثر من 18 سنة** و نذكر منها اربع اضطرابات فقط :

-اضطراب التلصص

- Aعلى مدى 6 أشهر على الأقل ، استثارات جنسية متكررة وكثيفة من مراقبة شخص مطمئن. والذي يكون قد ، أو خلال التعري، أو عند الانخراط في النشاط الجنسي كما يتجلى عبر التخيلات الاندفاعات أوً يكون عاريا السلوكيات.

- Bلقد مارس الفرد هذه الاندفاعات الجنسية مع شخص غير موافق ، أو أن هذه الاندفاعات الجنسية أو التخيلاتً ً هاماً سريريا أو تدنياً تسبب إحباطا في المجالات المهنية أو ألاجتماعية أو غيرها من مجالات ألداء الهامة الأخرى.

- Cإن الفرد الذي يختبر هذه الاستثارات و/أو الذي يتصرف وفق ى للاندفاعات يكون قد بلغ سن 18 عاما على الأقل.

-اضطراب الاستعراء

- Aعلى مدى 6 أشهر على الأقل ، استثارات جنسية متكررة وكثيفة من كشف الاعضاء الجنسية للفرد لشخص ال يتوقع ذلك كما يتجلى عبر التخيلات، الاندفاعات، أو السلوكيات

- B .لقد مارس الفرد هذه الاندفاعات الجنسية مع شخص غير موافق ، أو أن هذه الاندفاعات الجنسية أو التخيلاتً أو تدنيا تسبب إحباطا في المجالات المهنية أو ألاجتماعية أو غيرها من مجالات ألداء الهامةً ً هاما سريريا الأخرى

. حدد ما إذا كان

- من خلال تعريض الأعضاء التناسلية للأطفال قبل سن البلوغ يستثار جنسيا

- من خلال تعريض الأعضاء التناسلية للأفراد الناضجين جسديا يستثار جنسياً يستثار جنسيا من خلال تعريض الأعضاء التناسلية للأطفال قبل سن البلوغ وللأفراد الناضجين جسدي

-اضطراب الفيتشية

- Aعلى مدى 6 أشهر على الأقل، استثارات جنسية متكررة وكثيفة من استعمال أشياء غير حية أو التركيز الخاص على عضو جسدي غير تناسلي كما يتجلى عبر خيالات أو اندفاعات أو سلوكيات .في المجالاتً ً هاماً سريريا أو تدنياً

- Bإن هذه الاندفاعات الجنسية أو التخيلات أو السلوكيات تسبب إحباطا المهنية أو الاجتماعية ، أو غيرها من مجالات ألداء الهامة الأخرى

- C .لا تقتصر الأشياء الفيتشية على قِطَع الملابس المستخدمة في اللباس المتقاطع (كما في اضطراب لبس ملابس الجنس الآخر) أو الأدوات المصممة لغرض الاستثارة الجنسية اللمسية (مثل، الجهاز الهزاز .)

حدد ما إذا كان :جزء أو أجزاء الجسد أشياء غير حية أخرى

-اضطراب لبس ملابس الجنس الآخر

- Aعلى مدى 6 أشهر على الأقل، استثارات جنسية متكررة وكثيفة من لبس ملابس الجنس الآخر كما يتجلى عبر خيالات أو اندفاعات أو سلوكيات .في المجالات ً هاما ً سريريا أو تدنيا ً

- Bإن هذه الاندفاعات الجنسية أو التخيلات أو السلوكيات تسبب إحباطا المهنية أو الاجتماعية ، أو غيرها من مجالات ألداء الهامة الأخرى

.حدد ما إذا كان إذا استثير جنسيا بالأقمشة والمواد أو الملابس.

مع ميل للذاتية الأنثوية: autogynephilia إذا استثير جنسيا بأفكار أو خيالات عن النفس كأنثى.

7- التفسير النفسومرضي للاضطرابات الجنسية

يرى Bonnet (2006) ان الشذوذ المؤقت يعبر عن وجود حاجز يمنع المرور حيث يلجا المراهق الى العبور نزويا لتجاوزه بالقوة. بالنسبة اليه هذا الشذوذ يمثل نكوص للمراحل السابقة التي تميزت بظهور اشكال مختلفة للجنسية و لكن لم يتم فهمه و استدخاله حيث انه في مرحلة المراهقة يمثل وسيلة لأستدخاله بصورة نشطة.

الشذوذ المؤقت يسمح للمراهق بالتطرق الى التساؤلات التي ظهرت في مرحلة الطفولة .

بالنسبة ل Marty (2001) السلوكات الجنسية الشاذة في المراهقة تمثل وسيلة يلجأ اليها المراهق في بحثه عن الموضوع الجنسي الذي يتوافق مع الجنسية التناسلية و هذا ما قد يعرضه الى امكانية النكوص الى الجنسية ما قبل تناسلية و اشكالها المختلفة. بالنسبة لMarty سيرورة المراهقة تحمل في طياتها بعض عناصر الشذوذ و لكن دون علاقة مع البنية الشاذة ، انها إستراتيجية دفاعية تسمح للمراهق بمواجهة هول و افراط البلوغ و هشاشة الأنا امام الموضوع.